جمعيّة شكيم: الاحتفال بتجديد العهد (يش ٢٤)

الأب انطوان عوكر

الفصل ٢٤ هو الفصل الاخير في سفر «يشوع بن نون، عبد الرب». يقسم هذا الفصل الى قسمين: اجتماع شكيم (آ ١-٢٨)، وخاتمة مزدوجة للكتاب بمجمله (آ ٢٩-٣٣).

خاتمة الكتاب (٢٤: ٢٩-٣٣)

تقسم خاتمة سفر يشوع الى قسمين. الآيات الثلاث الأولى تذكر موت يشوع وهو ابن مئة وعشر سنين. امّا الآيتان الاخيرتان فتتوقفان على اعلان صريح عن اتمام العودة من مصر ودخول الارض التي وعد الرب بان يعطيها لنسل ابراهيم: حتى عظام يوسف (رج تك ٥٠: ٢٤-٢٦ وخر ١٣: ١٩) لم تبقَ في مصر بل ادخلت ارض الميعاد.

اجتماع شكيم (٢٤: ١-٢٨)

عهد سيناء، بحسب الكتاب المقدّس - وبخاصة سفر تثنية الاشتراع - ليس عهداً من الماضي؛ انه عهد حاضر يتجدّد في الممارسات الطقسية. واذا كنّا، في بعض الاحيان، نلاحظ اختلافات بين روايات قطع عهد سيناء، فهذا يعود، دون شكّ، الى تعدّد المعابد حيث كانت تجري احتفالات «تجديد العهد».

ففكرة «تجديد العهد» تظهر واضحة في سفر تثنية الاشتراع؛ مثلاً: «في نهاية السنين السبع، في الوقت المحدد لسنة الابراء، في عيد الاكواخ، حين يأتي اسرائيل كلّه ليحضر امام الربّ الهك، في المكان الذي يختاره، تقرأ هذه الشريعة على مسمع من اسرائيل كله» (تث ٣١: ١٠-١١). تكثر النصوص البيبلية التي تتحدث عن احتفالات تجديد العهد وعن كيفية تنظيمها. والنص الذي يستوقفنا الآن يندرج في اطار هذه الاحتفالات التي لم تكن ربما محصورة في عيد الاكواخ. وشكيم كانت من المراكز المهمة لاجراء مثل هذه الطقوس. فبالاضافة الى دورها البارز في تاريخ الآباء (تك ١٢: ٦-٧؛ ٣٣: ١٨-٢٠)، نجد فيها، في ايام الكنعانيين ،معبداً للاله «بعل العهد» (قض ٩: ٤). هذا يقودنا الى الاعتقاد بأن ممارسات شعب الله جاءت، في شكيم، لتبعد عبادة «اله العهد» القديمة وتحل مكانها عبادة «اله العهد» الحقيقي.

أمّا مراسيم «تجديد العهد» الذي تمّ في شكيم مع يشوع فقد جرت على النحو التالي:

أ- استدعاء الشعب ومثوله امام الرب (٢٤: ١)؛

ب- سرد تدخّلات الربّ في تاريخ الشعب (٢٤: ٢-١٣)؛

ج- التزام مثلّث من الشعب بالمتطلّبات (٢٤: ١٤-٢٤)؛

د- كتابة وثيقة واقامة نصب للشهادة (٢٤: ٢٥-٢٧)؛

هـ- انصراف الشعب (٢٤: ٢٨).

هناك حوار يرافق كلّ هذه المراحل ويبرز معنى التزام الشعب. فبعد استدعاء الشعب يستعرض يشوع كل تاريخ الخلاص. يبدأ بتاريخ ابي ابراهيم الذي كان يعبد آلهة اخرى عندما كان في عبر النهر، وينتهي باستقرار الشعب في ارض لم يتعب فيها، مروراً باسحق ويعقوب وموسى وهارون، وبضربات مصر، وبالخروج منها، وبعبور الصحراء،

ومختلف الحروب، وعبور الاردن، ومحاربة اهل اريحا. عبر هذا العرض يظهر تدخل الرب في تاريخ شعبه ليقوده الى الحرية والخلاص.

على اساس هذه الخلاصة التاريخية التعليمية يأتي عرض يشوع لمتطلبات الشريعة او بالاحرى للواجب الاول والاخير: «والآن اتّقوا الربّ... وأبعدوا الآلهة الاخرى...». هذا العرض، مع انه يتوقف عند الواجب الاخلاقي الذي ينتج عن الخبرة التاريخية المعاشة، يركّز على الالتزام الحرّ من قبل الشعب: «وإن ساء في اعينكم ان تعبدوا الرب، فاختاروا لكم من تعبدون» (آ ١٥).

واختيار الشعب الحرّ سيأتي مثلّثاً: «نحن نعبد الرب» (رج آ ١٤ و٢١ و٢٤). ويشير الشعب نفسه الى الدافع «التاريخي» لهذا القبول: «لأن الرب الهنا هو الذي اصعدنا، نحن واباءنا، من ارض مصر، من دار العبودية، والذي صنع امام عيوننا تلك الآيات العظيمة، وحفظنا في كل الطريق الذي سلكناه...» (آ ١٧). فالحافز على التزام الشعب هو الخبرة الشخصية: شهد خلاص الرب بأم العين (صنع امام عيوننا...) واستفاد هو نفسه من هذا الخلاص (وحفظنا في كل الطريق...).

امام اعلان هذا الاختيار الحرّ سيحذّر يشوع الشعب تحذيراً شديد اللهجة تنعكس فيه عطايا الرب السابقة. فالرب إله قدّوس، اله غيور، اي انه يغار من الآلهة الاخرى. يأتي كلام يشوع ليضع الشعب امام نتائج التزامه: «اذا تركتم الربّ وعبدتم الهة غريبة، ينقلب عليكم ويسيء اليكم ويفنيكم، بعدما كان قد احسن اليكم» (آ ٢٠). آية تحتوي على اشارة مباشرة الى القصاص الذي يجازي به الشعب اذا كان خائناً، وعلى اشارة غير مباشرة الى المكافأة اذا كان طائعاً. كل هذا مشروط بقبول الالتزام بالواجب الاول والاخير او رفضه. وكلام يشوع «التحذيري» هذا يضع الشعب بشكل متواصل امام ثنائية محتمة: الامانة او الخيانة.

نلاحظ اخيراً الأهمية التي يعطيها النص للشهود: الشعب نفسه (آ ٢٢) والحجر المنصوب (آ ٢٦-٢٧). في الواقع، لا نرى كيف يمكن لحجر منصوب ان يكون شاهداً، او كيف يمكنه ان يضمن امانة الشعب! فالحجر المنصوب يذكر الشعب بأن شيئاً قد حدث في هذا المكان، اما مضمون الاحتفال فيفترض ذاكرة الشعب والتزامه الحرّ. فالاصح اذا هو جعل السامعين شهوداً على التزامهم؛ وما الوثيقة المكتوبة في سفر توراة الربّ (آ ٢٥-٢٦) الا لتذكير الشعب بمضمون التزامه.

خاتمة

على الصعيد اللاهوتي، يمكننا ان نستخلص ان تدخلات الربّ لصالح شعبه خلقت علاقة اوّلية واساسية، ولكنّ التزام الشعب بالعهد يأتي ليُكسبه نتائج هذا التدخل الخلاصي.

اما على الصعيد الليتورجي فميزة احتفال تجديد العهد، في شكيم، هي «الحوار». فالشعب حي بفضل الرب وبفضل التزامه بألوهيّته الوحيدة. اما الحوار فيشير الى ان هذا الشعب الذي يحيا يستطيع ان يتعاطى مع إلهه بحرية ومسؤولية. إله العهد إله يحاور الانسان، يبرز امامه اعماله الخلاصية التاريخية، ويحثّه على الاختيار، ولكن دون ان يحدّ من حريته. فاختيار الربّ يقود الى الحياة.

Octateuque, Constantinople, XI^e siècle. Vatican, Biblioteca Apostolica, ms. gr. 747, f° 236r.

خطبة يشوع الوداعيّة
(يش ٢٤)